محور
الدراسات الفلسفية

جولة المبتدي

مجلة حولية المنتدى Hawlyat Al-Montada

I. S. S. N. Print :1998 - 0841 I. S. S. N. onlie :2958 - 0455 Doi 10.35519 /0828

اللغة والأدب عند زكي نـجيب محمود

The Language and Literature of Zaki Naguib Mahmoud

م. رسال حسين عبد اللطيف

جامعة البصرة - كلية الآداب - قسم الفلسفة

Lecture. Resal Hussein Abdulatef
University of Basra/ College of Arts/
Department of Philosophy
resal.hussain@uobasrah.edu.iq

تاريخ الإستلام: 2024/10/18 تاريخ القبول: 2024/10/26 تاريخ النشر: 2025/1/1

Recevied: 18 / 10 / 2024 Accepted: 26 / 10 / 2024 Published: 1 / 1 / 2025

الملخص

يهدف البحث الى بيان موقف زكي نجيب محمود من اللغة والادب، من خلال بيان الفارق بين مستوى اللغة العادية واللغة المنطقية، وما يشكله ذلك من أهمية في تأسيس الخطاب الفلسفي وأسلوب الكتابة الأدبية. فاللغة عبر مستوياتها المتعددة ومجالات اشتغالها المختلفة تسهم بشكل ملحوظ في تشكيل التجربة الإنسانية، وهذا ما يجعلها -اذا ما وظفت توظيفا صحيحا في أي من تلك المجالات- نشاطا فعالا عالي المستوى. ويعد الادب صورة من صور التوظيف تلك، ومجالا رحبا لفاعلية اللغة وتفاعلها الحي شعرا كان ام نثرا وهو الامر الذي يمنحه زكي عناية خاصة.

الكلمات المفتاحية: معنى اللغة،

فلسفة اللغة، الادب، النقد.

Summary
The aim of the research, Zaki Naguib Mahmoud's opinion about language and literature by highlighting the defiance between ordinary language and logical language level, and the significance of this establishing philosophical speech and literary writing style. Language through has various levels and diverse domains of process, it contributes significantly to shaping the human experience. When used correctly in any of these domains, it becomes a highly effective and sophisticated activity. Literature is one form of those uses, it is a wide scope for the effectiveness and liveliness of language, whether in poetry or prose, and this is an aspect to which Zaki pays particular attention.
Keywords: meaning of language, philosophy of language, literature, criticism.

المقدمة:

تتخذ تجربة زكي نجيب محمود الفكرية، موقعا بارزا ومهما في خارطة الفكر العربي المعاصر، والمتتبع لنتاجاته سيلمس دون شك تميزه بعقلية منفتحة ومعرفة علمية وثقافة لغوية اهلته ليكون متنوع الافاق فيما قدمه من نتاجات.

وبمقابل شيوع زكي نجيب محمود كداعية للوضعية المنطقية ومن اهم القائلين بها في عالمنا العربي، نجد ان كتاباته النقدية والأدبية وعنايته بالفن والجمال قد اخذت هي الأخرى مداها ووجودها في خارطة الفكر العربي المعاصر. ويبدو هذا واضحا وجليا في بعض مؤلفاته التي عرضت لإسهاماته اللغوية او الأدبية. يتناول البحث هذا الجانب من فكر زكي نجيب محمود، أي الجانب المتعلق باللغة والادب محاولا قدر الإمكان طرح ما يمكن طرحه من مواقفه واهتماماته في هذا الشأن من خلال مؤلفاته الكثيرة التي شكلت جزءا مهما من نتاجه المعرفي.

ويهدف البحث الى بيان اللغة وأهميتها، وموقف زكي نجيب محمود منها وذلك من خلال تأكيده على الفارق بين ما يسميه (اللغة العادية) و(اللغة المنطقية) وما يميز الأخيرة من ميزات دعتها لتكون في مكان الصدارة عنده وفقا لما تبناه من أصول الوضعية المنطقية واسسها الفلسفية. كما

يتناول أيضا اهتمامه بالنقد اللغوي وبالأدب وانواعه.

المشكلة الأساسية التي يطرحها البحث هي مدى تمكن زكي نجيب محمود -وهو الوضعي المنطقي، المحكوم بالعقل والمحتكم اليه دائما -واجادته في خلق عوالم أدبية تؤسسها اللغة التي تتقاطع مع المنطقي والعقلي في أحيان كثيرة.

يتناول البحث اللغة ومعناها عند زكي نجيب محمود، ويبين لفلسفة اللغة وماهيتها وعلاقة ذلك بالوضعية المنطقية، ولموقفه من الادب -باعتباره فنا من الفنون-من خلال الحديث عن فني الشعر والنثر، مع تعريج على معنى الفن عنده، ثم بيان معنى النقد وتعريفه وشروطه.

- أولا: معنى اللغة عند زكي نجيب محمود.

شكلت اللغة عند زكي نجيب محمود بعدا مهما واساسيا من ابعاد تجربته الفكرية، فمن خلال اللغة وتبحره في معطياتها سواء كان ذلك على مستوى الادب او على مستوى العلم، استطاع زكي ان يرسم حدود تلك التجربة وميزاتها. واهتمامه هذا باللغة لم يأت بشكل عرضي وانما كان نتاج خبرات واسعة مثلتها اطلاعاته وقراءاته المتنوعة والمتعددة في أكثر من ميدان فلم يقف عند تاريخ معرفي واحد بل تراكمت لديه تواريخ كثيرة امتدت منذ اليونان وحتى التاريخ الحديث والمعاصر.

يعرف زكي نجيب محمود اللغة بقوله:» ان اللغة هي ظاهرة اجتماعية كأي ظاهرة أخرى تنشأ من تفاعل الناس بعضهم مع بعض عندما يشتركون في حياة واحدة»[1] او ان « اللغة هي هذه الرموز التي نتبادلها كلاما وكتابة وفق قواعد تضبط تركيبها وتصريفاتها»[2]او يعرفها بتعريف اخرمن ان اللغة» هي أداة التبادل في ضروب المعرفة والثقافة على اختلافها»[3]

واللغة عند زكي نجيب محمود، ظاهرة يعيشها الانسان-أي انسان كان-في كل زمان ومكان، وربما قد مضى على البشر دهورا وهم يستخدمون اللغة ويتعاملون بها مع بعضهم البعض، الا ان زكي ينتقد هذا الشكل من التعامل اللغوي ويؤاخذ الانسان على عدم تنبهه الى لغته التي يستخدمها يوميا دون ان يبحث فيها ودون ان يلتفت مثلا الى قواعد لغته التي يستخدمها

والتي على أساسها تجيء الجملة المعينة مرفوضة او مقبولة عند أصحاب اللغة التي وردت عنهم هذه الجملة او تلك. ليؤيد ويثني على من يهتم بذلك فيستخرج من اللغة قوانينها وقواعدها او يجمع مفرداتها معجميا...الخ.[٤]

لذلك فهو يشيد باللغة العربية وإمكانية علمائها، وكيف نشأت علوم اللغة العربية لتستخرج من تاريخ استخدامها الفعلي قوانينها وقواعدها، إذا عرفت اللغة العربية ذلك منذ القرن الثاني الهجري، الا انها لم تجد من يفلسف لها تلك القوانين والقواعد في وقتها سوى محاولات قليلة في هذا الجانب كان أبرزها محاولة «ابن جني في كتابه «الخصائص»، او بعض اشتغالات العلماء بدراسة اللغة دراسة علمية كما النقاش الذي جرى بين علماء البصرة والكوفة حول صواب الاستعمال اللغوي وخطئه، ومرجع ذلك الى العقل او الى الشعر.[٥]

لذا نراه يؤكد على عدم الانقطاع بي ماضي اللغة وحاضرها ليشكل موقفه من اللغة العربية بقوله « أنها هي التي تحمل ماضينا الثقافي، وبتلك اللغة جاء القرآن الكريم، وجاءت أحاديث الرسول عليه السلام، وجاء الشعر العربي وغير الشعر من أدب أبان عبقرية تلك اللغة في الأداء، على أن ذلك كله لا ينفي أن يُضاف جديد قديم، حتى يكون لعصرنا كل ما يستحقه من اعتبار عند أبنائه، الذين كُتب لهم أن يحيوا على أرضه وتحت سمائه.»[٦]

ويؤمن زكي نجيب محمود بوجود دورين للغة، دور داخلي ودور خارجي، يكون الدور الداخلي تمثيلا للانفعالات والعواطف وكل ما يتعلق بالمستوى الشعوري للملتقي او لمستوى البناء الذهني الخالص الذي يمده

بها هذا الجانب من اللغة من انه كائن يكتسب دلالته ومعناه الوجودي من مقابلته لكائنات أخرى في الخارج. اما الدور الخارجي فهو الدور لذي يمثل استخدام اللغة.[٧]

كما ان اللغة عند زكي نجيب محمود ضرب من ضروب السلوك وإن ممارسة هذا السلوك تكون على مستويين عنده، يمثل المستوى الأول الإدراك الفطري للأشياء، ويشترك فيه أعضاء المجتمع الواحد في العصر الواحد، من خلال اتفاقهم على لغة الادراك التي تطبع وتميز الأشياء،

أما المستوى الثاني فيمثله الادراك العلمي، ويهدف الادراك العلمي لفهم الاشياء من حيث عناصرها الأولية وطريقة تركيبها.[٨]

ومن خلال الدور الذي لعبته اللغة في حياة اليونان، وعنايتهم الكبيرة بهذا الشأن باعتبارهم اول من سجل موقفا من البحث اللغوي وتحديدا مع السفسطائيين اذ يعتبرون من أوائل الذين وجهوا الانتباه الى دراسة الكلمات والجمل والأسلوب والخطابة، او مع افلاطون ومحاورته «كراتيل» والتي دارت حول أصل اللغة وطبيعة الأسماء، او مع سقراط واهتمامه بموضوع اللغة كممارسة شفاهية، ودعوته للحرص على الاستعمال اليقظ للغة بوصفها وسيلة للتخاطب اليومي.[٩]

وعند سقراط تحديدا يقف زكي نجيب محمود وقفة جادة ليوضح امرين: الأول المنهج الذي اختاره لنفسه وأثر سقراط على ملامح هذا المنهج، والثاني توضيح فلسفة اللغة عند سقراط. [١٠]

وما يعنينا هو الامر الثاني بكل تأكيد فلماذا كان سقراط ملفتا في عنايته باللغة لاهتمام زكي نجيب محمود؟ يقول زكي في ذلك متحدثا عن سقراط:» أن الفيلسوف قد حاول مع محاوريه -لأول مرة في تاريخ الفكر الإنساني -أن يحددوا معاني الكلمات التي يستخدمونها في مجالات الحياة الجارية وإلا فهل يعقل أن يتحدث ناقد عن أثر من آثار الفن وهو لا يدري بأي الخصائص يتميز الفن»؟ وهل يعقل أن يتشدق سياسي بالديمقراطية، حتى إذا ما سئل عن الديمقراطية عجز عن الجواب؟ فالعلم الصحيح بحقيقة من الحقائق لا يكون بذكر جزئية تندرج مع غيرها من جزئيات السلوك لتكون هي الأمثلة العابرة على الحقيقة العلمية لفكرة من الأفكار»[١١]

ويورد زكي نجيب محمود ان هذا الدرس اللغوي هو اول درس تعلمه من خلال ترجمته لمحاورات افلاطون الأربع، والتي ورد فيها كل شيء على لسان سقراط فكانت هي أساسه الأول في مجال اللغة، حتى تحول الى التحليلات اللغوية المعاصرة فوجد فيها ما أراد من إضافات جديدة زادته اقترابا من الدقة العلمية التي كان ينشدها. وما كان سائدا قديما من ظن بأن «المعنى الكلي الواحد يعد حقيقة عقلية مستقلة بذاتها»

قد تغير مع التحليل المنطقي الرياضي في القرن العشرين الى فكرة ان «أي معنى من المعاني العامة ما هو الا تكثيف لجملة كاملة ضغطت في مفردة لغوية واحدة»[١٢]

وظل زكي وفيا للدرس السقراطي حتى مع كل ما جد فيه او اضيف اليه في سنوات بحثه اللاحقة وهو يقول في ذلك انه «أضاف ما أضافه الى الأسس السقراطية، وكان له ذلك مع ازدياد علمه بما جاءت به مراحل التطور الفكري خلال القرن العشرين، الا ان الصورة السقراطية مازالت حتى اليوم تجذبه جذبا قويا حتى ولو طرأت عليها تعديلات يقتضيها عصرنا الجديد «[١٣]

ومن الطروحات الأخرى التي نجدها مع زكي نجيب محمود معالجته لقضية الصورة في فلسفة اللغة، وقد طرح ذلك على ضوء نظرية افلاطون في المثل محاولا بيان قدرة اللغة على التجاوز والانتقال من الواقع المادي الى المثال المجرد، وقد كانت اراء افلاطون من اهم الركائز التي حددت هذه العلاقة عنده.[١٤]

وهو يذكر في هذا الشأن:» ان الانسان قد استعاض عن الصور المباشرة بكتابة مصورة يكتفي فيها بالرمز الى الموضوع دون رسمه رسما مباشرا، ثم اخذت الصورة الكتابية تبعد عن الرمز التصويري شيئا فشيئا -مارة خلال المرحلة الهيروغليفية- حتى انتهت أخيرا الى هذه الاحرف الهجائية التي نستخدمها في كلماتنا، والتيان هي الا تصوير بلغ غاية في التجريد، وانظر أذا شئت الى كلمة «شجرة» فهل ترى رابطة بين صورتها والشجرة ذاتها التي اريد تصويرها بتلك الكلمة؟ ليس بين الطرفين شبه، ومع ذلك فطرف منهما يصور طرفا على سبيل التجريد لا على سبيل التعيين.»[١٥] وهذه هي فاعلية اللغة وقدرتها على اختزال الصور الكثيرة في إشارات ورموز لفظية.

١-فلسفة اللغة ونقد اللغة عند زكي نجيب محمود.

يعرف زكي نجيب محمود فلسفة اللغة على انها: «البحث عن الخصائص المشتركة بين متفرقات القوانين والقواعد»[١٦]التي تخص أي لغة من اللغات. وقد عني بفلسفة اللغة عناية خاصة في مسيرة انه اختارها كمادة لمحاضراته التي كان يلقيها على طلبته في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وهو يعلل

اختياره هذا بإرجاعه الى سببين الأول خاص او محلي والثاني عام. ومن الجدير بالذكر-فيما يخص السبب الأول-انه فرق بين مستويين من اللغة هما «اللغة العامية» واللغة الفصيحة، وكان يؤاخذ المثقفين والادباء والمفكرين من الكتابة بالعامية، فكانت محاضرات فلسفة اللغة التي ألقاها على طلبته تنشد الاهتمام باللغة الفصحى والعناية بها حتى يستقيم الفكر ويكون الخطاب رصينا لا ركيكا. اما الداعي الاخر فهو أهمية الاطلاع على هذا الجانب من الفلسفة-فلسفة اللغة-لاعتبارات عالمية تخص اللغة وكيفيتها. ويذهب في ذلك قوله:» الناحية القومية المحلية، التي دعتني الى اختياري لفلسفة اللغة موضوعا لمحاضراتي...واما الناحية الثانية التي قلت انها عامة وعالمية فهي ان البحث في فلسفة اللغة قد بات متجها للعاملين في الدراسة الفلسفية، لا تخطئه عين... ففلسفة اللغة في الدوريات والمؤلفات هي اليوم في مكان الصدارة من اهتمامات الدارسين في ميادين الدراسة الفلسفية»[17]

ويؤكد زكي نجيب محمود على أهمية فلسفة اللغة في أكثر من واحد من كتاباته، ويرى بانها الجانب الذي يجب ان يكون له الأولوية في أي دراسة فلسفية وفي أي نوع معرفي فهو يذهب الى

« إن الفكر الفلسفي قوامه « منهج» في تحليل المعاني، دون أن يكون له بالضرورة موضوع معين خاص به، يحتكره لنفسه، حتى ليمكن تعريف الفلسفة من هذه الزاوية بأنها « علم المعاني « لأن المادة التي تصب عليها فاعليتها، هي تلك المعاني الأساسية المحورية التي تدور حولها رحى الحياة الفعلية كلها «[18].

اما اهم الموضوعات التي تؤلف مجال فلسفة اللغة فهي كثيرة منها التحليلات المنطقية لبعض المفردات والعبارات اللغوية، مشكلة العلاقة بين اللغة والواقع، اللغة العادية وفلسفتها، المواضعة اللغوية ويقين بعض القضايا، نظريات المعنى وغيرها ممن عني به فلاسفة اللغة بشكل عام وزكي نجيب محمود بشكل خاص.[19]

لقد أراد زكي نجيب محمود ان يختبر مداخل فلسفة اللغة فتناول تفصيلات كثيرة منها، تناثرت هنا وهناك كموضوعات -من بينها ما

ذكـر انفا-لمؤلفاتـه كليـا او كمقـالات احتوتهـا تلـك المؤلفـات. يؤكـد ذلـك مـا شـغله مـن اهتـمام بالفلسـفة وتعريفهـا وبالعلـم وتعريفـه وباللغـة وتعريفهـا حتـى يصـل مـن وراء ذلـك كلـه الى لغـة علميـة فلسـفية تحقـق مطالبـه وغاياتـه الفكريـة.

لـذا نجـده ينتقـد كل مـا مـن شـأنه ان يخـترق هيبـة اللغـة التـي يرجوهـا-كـما فعـل في نقـده للعاميـة-او يتلاعب بلغـة الخطـاب العلمـي والمعـرفي الصحيـح وهـو يذهـب في ذلـك الى نقد الثقافـة العربيـة ، باعتبارهـا ثقافـة تتجـاوز الواقـع ولا تحـث النـاس عـلى العمـل بـل تجنـح بهـم الى الخيـال ، فالعـرب امـة كلام لا عمـل فتكتفـي بزخـرف القـول دون مـؤداه ، ولا تأبـه للتفريـق بـين قديـم انتهـى وجديـد يتطلبـه العـصر وهـو يتحـدث عـن ذلـك الفـارق بقولـه «لسـت أتصـور لامـة مـن الأمـم ثـورة فكريـة كاسـحة للرواسـب، الا ان تكـون بدايتهـا نظـرة عميقـة عريضـة تراجـع بهـا اللغـة وطرائـق اسـتخدامها، لان اللغـة هـي الفكـر، ومحـال ان يتغـير هـذا بغـير تلـك»[٢٠]

فهـو يـرى ان هنـاك بـون شاسـع بـين دنيـا الفكـر عندنـا كعـرب كـما يصورهـا الكاتبـون وبـين دنيـا الواقـع وخبراتنـا الشـعورية، فـكان الواحـد منـا حـين يقـرأ مقـالا او كتابـا يشـعر كأنـه خـرج مـن نفسـه ليدخـل في «مجموعة نغميـة تقصـد اجراسـها الى الاذان ولا تقصـد الى العقـول او القلوب...فاللغـة عندنـا نغـم يطـير بنـا عـن ارض الواقـع ويصعـد بنـا الى اللانهـائي المطـل»[٢١]

وفي خضـم حديثـه عـن هـذا الخـلاف تكلـم زكي نجيـب محمـود عـن نقطتين مهمتـين يمثـلان ارتبـاط اللغـة بالفكـر هـما فيـما يقـول:

١-»اننـا حـين نربـط الفكـر باللغـة، فلسـنا نقصـد ان كل نطـق بألفـاظ مـن اللغـة يكـون فكرا...فلابـد اذن مـن شروط ينبغـي لهـا ان تتوافـر في المنطـوق ليكـون ذا علاقـة بمـا نسـميه فكـرا».

٢-»اود ان الفـت النظـر الى تقسـيم بالـغ الأهميـة، يفرقـون بـه بـين نوعـين مـن اللفـظ الـذي يكـون فكـرا: فنـوع منهـما يربـط الـكلام بالواقـع الخارجـي المحسـوس، ونـوع اخـر يربـط الـكلام بـكلام اخـر، بحيـث يجـيء الـكلام الأول

والثـاني كلاهـما-وان ارتبـط أحدهـما بالآخـر-ولا علاقـة بينهـما قـط بمـا هـو واقـع في العـالم الخارجـي المحسـوس.»

[٢٢]

فالأمر الاول قد يمنح عقولنا الحقيقة، فيما لا يفعل الامر الثاني ذلك، فما هي الا فيض من الالفاظ والعبارات التي لا تضيف جديدا ولا توفر لنا أدوات نتجاوز بها الازمات. ولابد من نظام جديد يضبط اللغة، وهذا النظام لا توفره -مع زكي نجيب محمود-الا الوضعية المنطقية ولغتها.

٢-الوضعية المنطقية وفلسفة اللغة.

بعد ان وجه زكي نجيب محمود نقده للعديد من مسائل اللغة، ووجد ان في اللغة العادية قصور في استيعاب الفكر وتطورت العلم والمعرفة لجأ الى البديل عن ذلك، وهذا البديل هو اللغة المحكمة المنطقية التي لا قصور فيها في نظره وهي اللغة الوضعية المنطقية. لغة العلم التي اسرته بدقتها واحكامها، فلم تعد أي لغة غيرها قادرة على انتاج المعنى الصحيح عنده.

وهو يصرح في كتابه «المنطق الوضعي «بذلك قائلا: «انا مؤمن بالعلم كافر بذا اللغو الذي لا يجدي على أصحابه ولا على الناس شيئا، وعندي ان الامة تأخذ بنصيب من المدنية يكثر او يقل، بمقدار ما تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه»[٢٣]

ولو انتقلنا بالحديث الى الوضعية المنطقية ودورها في فلسفة اللغة فسنجد ان مهمة الفلسفة عند أنصار الوضعية المنطقية هي «تحليل العبارات والالفاظ من حيث بناؤها المنطقي العام ، لا من حيث طرائق استخدامها في لغة بعينها ، وتحليل العبارات والألفاظ على هذا النحو ، هو نفسه تحليل للفكر من حيث صورته لا من حيث مادته ... وحين تريد الفلسفة التحليلية المعاصرة ان تجعل اللغة موضوعها، فإنما تريد للغة في مهمتها الأولى مهمة الرمز الى أشياء العالم الخارجي ووقائعه، مضافا الى ذلك البحث في العبارة اللغوية من حيث تكوينها وبناؤها تكوينا وبناء يجعلانها وحدة واحدة على الرغم من احتوائها على أجزاء هي الكلمات وما يشبه الكلمات من رموز، فاذا كانت العبارة اللغوية مما يستدعي ان ننظر خارجها ليتم معناها بالإشارة الى مسماها كانت داخلة في العلوم الطبيعية...واما ان كان الامر يقتصر على العبارة نفسها...كانت داخلة في العلوم الرياضية»[٢٤]

كما ان محور البحث الفلسفي

عندهم «هو اللغة دلالة وتركيبا، فان كانت الدلالة هي هدف البحث حصروا انتباههم في علاقة التطابق بين الصورة اللغوية من ناحية وعالم الأشياء من ناحية أخرى، هو ما يطلقون عليه اسم « السيمية « أي علم السميات «. غير أن الباحث في اللغة باعتبارها أداة تصويرية للواقع قد ينصرف أحيانا إلى داخل العبارات نفسها ليرى كيف ركبت أجزائها تركيبا جعل منها بناء واحد، وعندئذ يطلقون على هذه المحاولة اسما آخر، هو « علم البناء اللفظي « ولو أردت دراسة اللغة من حيث هي أداة للتسمية « فلابد من دراسة مفرداتها، وإن أردت أن تنظر إليها من حيث طرائق بنائها، فلابد لك من دراسة نحوها، إذ لا تكون لغة بغير مفردات يرتبط بعضها ببعض على « نحو معين»[٢٥]

وعليه فأن ميل زكي نجيب محمود في رؤيته للفلسفة، يجعلها قائمة عنده على أساس الوظيفة اللغوية، فيذهب الى ان الفلسفة ماهي الا «توضيح للمعاني «. وكل الفكر بالنسبة له ليس سوى صورة لفظية مرئية او مسموعة، فالفكر هو ما يمكن ان يتناقله البشر اما ما يعتمل في الذهن من حالات فكرية فليس الا عبث لا يغير شيئا في العالم.[٢٦]

وهكذا يتضح ان ما يريده زكي نجيب محمود للغة ومن اللغة هو ان تعلي من شأن امكانياتها بأن تتجاوز كل عبث فكري وتسعى لان تكون واقعا إنسانيا فعالا، ولا سبيل الى ذلك الا عبر ما يمكن ان تتجاوز فيه واقعها بان تحلل تلك الأفكار وتحيلها الى مرجعياتها الصحيحة ويقول في ذلك: «أرى ان عمل الفيلسوف الذي لا عمل له سواه، هو ان يحلل الفكر الإنساني كما يبدو في العبارات اللغوية التي يقولها الناس في حياتهم العلمية او في حياتهم اليومية على السواء، ليست مهمة الفيلسوف ان تكون له اراء في هذا او ذاك، لان الرأي هو من شأن العلماء وحدهم»[٢٧]

اعتني زكي نجيب محمود باللغة على أساس انها مدخله لتغيير ثقافي وفكري شامل، فالنزعة لتقديم اللغة كمدخل للوضعية المنطقية واهم محاورها على الاطلاق، تتبدى في كتابه «نحو فلسفة علمية، خاصة وانه يعلن أكثر من مرة تبنيه للوضعية المنطقية، ويستخدم تعبير «نحن الوضعيون المنطقيون» في أكثر

من موقع، وهذه العناية باللغة هي من جذبته للوضعية المنطقية وجعلته يرفع رايتها في الفكر العربي المعاصر.[٢٨]

ان منطلق الاهتمام باللغة عند زكي نجيب محمود يكمن في نظرته تجاه الفلسفة التي لا يراها تتجاوز التحليل، وتحديدا التحليل المنطقي، وعلى ذلك ينطلق الى استبعاد الميتافيزيقا، لأنها غير قابلة لأن تكون موضوعا للتحليل، فالكلام لديه ينقسم الى صحيح وخاطئ وفارغ، وضمن الكلام الفارغ توضع «الميتافيزيقا التأملية»، فالميتافيزيقا ترفض على أساس استخدامها اما لكلمات غير ذات معنى او مدلول مما اتفق عليه الناس، او لان الفاظها لا تقول شيئا في السياق الذي اجتمعت فيه وان حملت كل كلمة معنى ودلالة.[٢٩]

واعتمادا على ما تقدم فإن أي جملة يقولها قائل، إما أن تكون علما وبذلك نخضع لمقاييس العلم من طبيعة أو رياضة، وإما أن تكون معبرة عن حالات ذاتية، وبذلك تكون فنا وتخضع لمقاييس النقد الفني، فإن زعم زاعم لجملة يقولها إنها ذات خصائص تميزها عن العلم وعن الفن فأنها بهذا تكون فلسفة ويكون من العبث تحويلها إلى علم.[٣٠]

ان اختيار زكي نجيب محمود للوضعية المنطقية كحل لازمات الفكر العربي ومنها ازمة اللغة لم تكن الغاية منه اعتناق مذهب فلسفي ليعارض به مذهب اخر، بل ان هدفه كان العثور على طريقة للتفكير والنظر يكون بالإمكان الإفادة منها في اصلاح أي خلل في الحياة الثقافية، فبالإضافة الى اهتمام الوضعية المنطقية بمجال التفكير العقلي الا انها تعترف بأن هذا التفكير لا يمثل كل النشاط الذهني لدى الانسان، بل ان هناك الى جانبه ميدان الوجدان بشتى صوره.[٣١]

ان هم زكي نجيب محمود الأكبر ليس الوضعية المنطقية بحد ذاتها بقدر ما هو توظيفها في واقع متأزم والنهوض بذلك الواقع، ولذا فانه وقف بالضد من ابتعاد التراث العربي عن اللغة التي ترتبط بالواقع، بل ان هذا التراث يقدس اللغة ويحولها الى امر مبهم لا يمكن ان يكون ذات منفعة للفكر، وإزاء هذا الواقع يصبح العربي كالرحالة الذي يحمل خريطة مضللة لا تدله

على الأمكنة الصحيحة.[٣٢]

وعليه فلا يمكن لهذا الواقع ان ينهض الا بالنظر اليه نظرة عقلانية، فالعقل وحده هو القادر على الخلاص من الأوهام التي تحيل بين الانسان وواقعه، فالأنسان العقلاني كما يصفه زكي نجيب محمود نهم نحو معرفة الحقائق والطبائع والعلل وهو في بحثه عن المعرفة لا تقف امامه أوهام البدائيون لتمنعه من التقدم فهو المتحكم في مصيره وفي بناء مستقبله بالعقل وحده، وما يمكن ان يضمن للعربي الدخول الى عصر التطور هو ان يطور قيمه السائدة ويبنيها على أسس علمية وتقنية ومنفعية في تعامله السياسي والاقتصادي [٣٣]، وليس خطابه اللغوي الا جزء من ذلك.

ثانيا: الادب عند زكي نجيب محمود.

١-موقفه من الادب باعتباره فنا من الفنون.

أضحت اللغة الأدبية التي امتاز بها زكي نجيب محمود في كل نتاجاته سواء على مستوى الفن والادب او على مستوى الفلسفة امر لا يمكن الخلاف حوله، فقد جمع في أسلوبه الكتابي بين الوعي الفلسفي بقضايا الفلسفة وشؤونها، وبين الحس الادبي ورهافته. حتى شبه على أثر ذلك بما وصف به التوحيدي بأنه فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة. ويقال ان عباس العقاد هو من أطلق عليه هذا اللقب، اذ كان زكي نجيب محمود من معجبيه وقد بدأ حياته الأدبية مترددا على صالونه الادبي.

وواقع الامر اننا مع زكي نجيب محمود لا نجد حديثا خالصا وصريحا عن الادب بقدر ما نلقى حديثا عن الفن بشكل عام، لذا سنعتمد اعتبار الادب فنا من الفنون حتى يكون الحديث عن الادب غير خارج عن مجاله في البحث. لذا سنحدد أولا مفهوم الفن عنده ثم ننتقل بعدها لبيان تفصيلاته، كالشعر والنثر باعتبارهما فنين ادبيين.

وقبل ذلك لابد من الإشارة الى الفارق الحاسم الذي يضعه زكي نجيب محمود بين الادب والعلم، فهو يؤكد ان الفارق بينهما فارق شاسع، فبلا شك «ان الادب ليس علما، ولو كان من العلم او ما يشبه العلم لانحسمت فيه مواضع الاختلاف في الراي كما تنحسم بين العلماء في المعامل»[٣٤]

يقول زكي نجيب محمود في كتابه»

الشرق الفنان»: «استعمل كلمة بالفن بأوسع معانيها، وهو أن ينظر الإنسان إلى الوجود الخارجي نظرة ذاتية مباشرة، كأنما هذا الوجود خطرة من خطرات نفسه، أو نبضة من نبضات قلبه، وتلك هي نظرة الروحاني، ونظرة الشاعر، ونظرة الفنان، وهي نظرة تتم على خطوة واحدة. فأنظر إلى العالم من داخل تكن فنانا...او انظر إليه من باطن تكن شاعراً ... انظر إليه وجوداً واحداً حيا تكن من أصحاب الخيال البديع المنشئ الخلاق» [٣٥]

وايمانا منه بأهمية الفن وقدرته على التغيير، ودور الفنان في انتاجه ذهب الى ان «النظرة الفنية من شأنها ان توحد العالم، وذلك لأنها نظرة العيان المباشر الذي يلمح في حدوسه الحسية علاقات تربط أطرافها، ونسقا ينتظم اجزاءها... ومن هنا كانت الفردية شرطا أساسيا جوهريا في نتاج الفن كائنا ما كان»[٣٦]

وحول رأيه بالخلق الفني سواء ما كان منه نتاجا فنيا ادبيا او تشكيليا...الخ يقول «ليس كل تتابع للألفاظ قصيدة من الشعر، وليس كل تتابع للنغمات لحنا جميلا، اذ لابد لهذا التتابع ان يجيء على نحو معين فذ فريد بفضل العلاقات الداخلية التي يستحدثها الفنان بين أجزاء موضوعه بحيث تستقيم كلها في كائن واحد ولعل هذا نفسه هو الذي يجعل القطعة الفنية مستحيلة على الترجمة والتلخيص والوصف»[٣٧]

ويقارن زكي نجيب محمد بين الفن والدين من حيث ان كلاهما روحي وجداني فيذهب الى ان الفن مثل الدين كلاهما خاضع لذائقة المتذوق، فلا يمكن معرفة الفن او الدين معرفة حقيقية دون ان يحياهما الانسان حياة قلبية خالصة، ومثل هذه المعرفة لا توصف او تقرأ وفق قواعد واصول، وانما هي امر يعاش. لان هذه المعرفة لابد من ان تتسلل الى القلب.[٣٨]

كما يؤمن زكي نجيب محمود بحرية الفن، الا ان تلك الحرية لا تعني عنده العبث بالمضمون الفني، بل لابد في كل فن من الالتزام والالتزام الذي يشدد عليه زكي نجيب محمود هو «الحق» كما يراه في دخيلة نفسه، «فليس كل حالم فنانا كما يقول زكي» بل هو يطالب الفنان ان يضبط نتاجه الفني، فهو حالم

ولكن بحدود وقواعد ومبادئ تقيده بالحق الذي يريد اظهاره في ذلك النتاج. وهذا هو المعيار الذي من خلاله يمكن تمييز الفن الأصيل من الفن الزائف.[٣٩] وفي هذا الصدد يتضح تأكيد زكي نجيب محمود على القيم وجمالية القيم والتزامها سواء ما كان منها أخلاقيا او اجتماعيا.

ان ما كان يقوله زكي نجيب محمود حول ان الادب والفن ما هما الا هواية بالنسبة له، تبدد مع كل نتاجاته التي حققت ما هو ابعد من ذلك في الواقع، وهي أكثر من هواية لأنها تتصل مع موقفه الفكري وتتسق معه وكأن أفكاره الفلسفية وجدت لها مصداقا في ميدان الادب والنقد، وهذا المفهوم صار أساسا راسخا بنى عليه كل ما بعده. كما كان للأدباء ونتاجهم من جانب اخر دور في انهم رسموا معالم الطريق الادبي وأبدعوا نتاجات أدبية اثرت فيه وجعلته متمرسا بها كالمقالة والنقد والترجمة وغيرها، إلا انه شكل من ذلك كله ثقافته الخاصة ووجهة نظره حيث كان يؤمن بأن ثقافة المرء هي وجهة نظره «ومن ليس له وجهة نظر يقيس إليها مواقف الحياة وأحداثها فليس هو بذي ثقافة حتى ولو كان أعلم علماء عصره» [٤٠] إن هذا الثراء المعرفي الذي شكل تجربة زكي نجيب محمود في مجال اللغة والأدب هو تصوير حقيقي وأمين لمواقفه من الثقافة أو الفن أو الفلسفة التي ميزت رؤيته عمن عاصرهم من هؤلاء الادباء اومن سبقوه منهم.

وواحد من الأمثلة التي يمكن ذكرها ان زكي نجيب محمود «واكب ظهور المذهب الرومانسي في الادب العربي وتطوره واحتفى بشعرائه وكتابه وخصهم بكثير من المقالات النقدية التي تعبر عن اعجابه بشعرهم وبمسحة التجديد فيه «[٤١] إلا أن ذلك لم يعن أنه لم يسجل موقفاً خاصاً من هذا المذهب كاشفاً ومنبهاً عن مواطن الضعف أو الخلل ومشيراً إلى ما يعتري هذا المذهب من نقص.

ووفقا لما تقدم يمكن القول ان زكي نجيب محمود رغم ميله للوضعية المنطقية ولغتها التحليلية، ومطالبته باعتمادها، الا انه مع ذلك كان يؤيد الحفاظ على اللغة العربية وعلى قدرتها الأدبية التي كان يشيد بها في أكثر من مرة. لكنه أراد دوما ان تكون تلك القدرة سبيلا لبلوغ مكانة معها تمكننا من ان نتقن

القول الى جانب العمل اذ» يجب علينا نحن العرب ان أردنا الدخول الى هذا العصر ان ننتقل من حضارة اللفظ الى حضارة الأداء والعمل، ومن معرفة قوامها الكلام الى معرفة قوامها الالة التي تصنع»[٤٢]

٢-النقد عند زكي نجيب محمود.

كان زكي نجيب محمود -في كل اعماله النقدية-لا يصدر الا عن دربة ودراية مهدت لها ودعمتها رؤيته الفلسفية والأدبية، فكان ينظر الى الاعمال بماهياتها، ويميز فيما بينها حتى يخرج نقده للأعمال الأدبية بشكل أكثر رصانة وتقانة، فليس دافعه الحقيقي في نقد النصوص هو النقد فقط بقدر ما كان دافعه الحقيقي إيجاد تصورات تسهم في تعديل الحاضر واستجاباته للتجديد والتغيير وهذا ما يمكن ان يقف عليه أي متتبع لأعماله اذ سيجده متجاوزا للظاهر من النص الى ما هو أعمق.

وفي كتابه» في فلسفة النقد» يحاول ان يتناول بنائية المعنى النقدي ويفصل فيها بتفصيلات كثيرة، وهو يعتبر ان «مرحلة النقد الفني هي مرحلة ثانية تأتي بعد مرحلة الذوق أو التذوق وهي مرحلة يقوم فيها الناقد بعملية تحليلية أي بعملية فكرية لا ذوقية إذ يحاول أن يلتمس المواضع والعناصر التي تدخل في تركيب الشيء المنقود والتي كان من شأنها أن تحدث ما قد أحدثته أثر إبان عملية التذوق»[٤٣]

ثم يردف مستكملا حديثه معارضا الذين يخلطون بين التذوق والنقد مشيرا ان هناك اختلافا بين الامرين ولا يمكن ان يعتبر هذا ذاك فيقول» ولا أريد أن أترك هذه النقطة قبل أن أبدي عجبي من أولئك الذين يصرون على ان النقد الفني عملية ذوقية لا مجال فيها للفكر العقلي، ولست أدري كيف يفرق هؤلاء بناء على وجهة نظرهم هذه ببين التذوق الذي يتبعه نقد وبين التذوق فقط؟ أم أنهم يحسبون كل متذوق ناقد؟ كلا فبينما لا يكون نقد فني إلا إذا سبقه تذوق، يجوز أن يكون هنالك تذوق بغير أن يلحقه نقد فني، إن الناقد الفني يسأل نفسه بعد تذوق ما تذوقه لماذا كان كذلك، ومادام هو يسأل عن أسباب فهو يؤدي عملية فكرية عقلية يحلل بها الحالة الذوقية التي مر بها ممارسا ومكايدا ومعاينا...»[٤٤]

والاشكال الذي يصادفنا هنا يتعلق

بمرجعية النقد، وهو اشكال يطرحه زكي نجيب محمود على شكل تساؤل مفاده» المشكلة هي وبعد، فهل يكون النقد الأدبي للذوق أو للعقل؟ هل يكون فنًّا أو علمًا؟» ويرد على ذلك بتحديده الذوق ومجاله ومقوماته وهو الذوق الذي يدرب ليكون قادرا على قراءة النصوص الأدبية من جانب، وتدعمه نظرات العقل القائمة على التفكير السليم من جانب اخر لان جانبا واحدا لا يكفي لان يصير النقد وسيلة يعتد بها من وسائل المعرفة. ثم يعود ليميز بتفرقة أخرى بين ما يمكن ان يسمى نقدا ادبيا وبين ما يمكن ان يكون نقدا تأثريا لا صلة له بشروط النقد واساليبه فيقول مخاطبا كل من يقرا نصا ادبيا». فهَبْكَ قرأت قصيدة فأشاعت في نفسك لذة، إلى هنا أنت بمثابة المتذوق الذي يتأثر بشعور فريد خاص به، ولسنا نحرمك ولا نحرم أحدًا من هذه اللذة الذوقية بأي معنى من معاني الحرمان ... كلا، أيها القارئ الكريم، لسنا نحرمك أن تقرأ وتتذوق ثم تسكت، فلا تكون شيئًا بالنسبة إلينا، ولسنا نحرمَكَ بأي معنى من معاني الحرمان أن تقرأ وتتذوق ثم تُكلّمنا لتثير فينا أثرًا مثل الذي تأثرت به، وعندئذ تكون أديبا من المرتبة الثانية؛ فليس هنالك فرق جوهري في طبيعة الموقف بين تأثُّر الأديب الأصلي بالطبيعة مباشرة فيكتب، وبين أن تتأثر أنت بالأثر الأدبي فتكتب، وفضله عليك أنه أسبق منك إلى إدراك الجمال في الطبيعة، لكنَّ كليكما مع ذلك أديب يتأثر فيُنشئ ليحدث في القارئ اثرا شبيها بأثره»[٤٥]

فلن يكون الناقد الادبي ناقدا في ضوء ذلك الا إذا تجاوز التذوق بخطوة، متسائلا عن العوامل الموضوعية التي اثارت عنده الشعور بالنص الادبي، وهنا فان الناقد لا ينقل مواقف خاصة وفريدة ولا تتكرر، بل هو يتحدث عن قواعد عامة يمكن ان تطبق في أي حالة تشابه الحالة المنقودة، ومادام الناقد هنا يعمل في مجال التعميم فهو عالم، والنقد بناء على ذلك علم كما يذهب زكي نجيب محمود طالما تحكمه القواعد والتعميم.[٤٦]

ولن يكون ناقدا أيضا الا اذا تعامل مع النص في حدود النص ولا شيء اخر سواه او خارجا عنه كأن ينظر الناقد إلى البيئة والظروف

الاجتماعية والسياسية التي تقوم وراء الأثر المنقود ، لأنه لو فعل ذلك لكانت القطعة الأدبية التي أمامه بمثابة وثيقة تاريخية ليس الا ، كما ان عليه أيضا ان لا يجعل من النص الادبي نافذةً ينظر من خلالها الى دخيلة نفس الكاتب، أو دخيلة نفسه كناقد إذ انه لو فعل هذا سيكون أشبه بعالم النفس الذي يحلل نفسية المريض وخواطره ومشاعره، فالناقد ليس عالم اجتماع ولا سياسة ولا عالم نفس ولا طبيعة؛ وإنما هو ناقد أدبي غايته دراسة القطعة الأدبية بتجرد ليس الا.[٤٧]

ثالثا: نماذج أدبية.... الشعر والنثر عند زكي نجيب محمود.

اتسع حديث الادب عند زكي نجيب محمود حتى شمل الكثير من الأنواع الأدبية، كان الأبرز بينها حديثه عن الشعر والنثر، وهذا الحديث العميق والمطول عنده عن هذين النموذجين من الكتابة الأدبية ربما قد انعكس او عكس لغته التي جاءت مميزة تجمع بين الجانبين معا، لغة حملت من افق النثر ما املته عليها متطلبات العقل والعلم ومنهجيته التحليلية ممثلة بالوضعية المنطقية، ومن افق الشعر ما أملته عليها متطلبات الوجدان حتى كانت مزيجا مثاليا للجانبين معا.

وقد يؤيد ما تقدم تجويز زكي نجيب محمود لمثل هذه الصلة بين الشعر ولغته، والنثر ولغته فهو يذهب الى ذلك بقوله: « أن لغة النثر يجوز أن تُستخدم في الشعر، ولقد زعمنا فيما سلف أن ألفاظ الشطر الأعظم من روائع الأشعار لا تختلف عن ألفاظ النثر الجيد في شيء، فلنخط إذن إلى الأمام خطوةً فنؤكد تأكيدًا لا يأتيه الباطل أن ليس ثمة، بل يستحيل أن يكون ثمة فارق جوهري بين لغتي النثر والشعر. إننا نميل إلى تعقب أوجه الشبه بين الشعر والتصوير حتى عددناهما تربين؛ فأين عسانا أن نجد من الروابط الوثيقة ما يكفي أن يجلو الصلة بين لغتي النثر والنظم؟ فكلاهما تنطقهما أداة بعينها وكلاهما يُخاطب عضوًا بعينه، ويمكن القول إن ما يكسو كليهما من الجسد قوامه مادة بعينها، ونزعتاهما متقاربتان بل تكادان تكونان متطابقتين، وليس يلزم بالضرورة أن يختلفا حتى من حيث الدرجة»[٤٨]

وعلى أساس انعدام الفارق هذا،

يذهب زكي نجيب محمود ليرد على من يدعي ان ما يميز لغة الشعر عن لغة النثر، هو ان لغة الشعر موزونة ومقفاة، بينما لغة النثر ليست كذلك فيقول: « فلو أُقيم لي الدليل على أن القافية والوزن وحدهما يُكوِّنان فارقًا يعكس ما زعمناه الآن من تشابه دقيق بين لغتي الشعر والنثر، ويمهد الطريق لفوارق أخرى مصطنعة يُسلَّم بها العقل راضيًا، لأجبتُ أن لغة الشعر... حيثما صيغت في ذوق سليم وشعورٍ صادق تُميّز نف

وشعورٍ صادق تُميّز نفسها بنفسها أكثر جدا مما تظن عند الوهلة الأولى، ويكون فيها الفارق الذي يُباعد مباعدة تامة بينها وهي مصوغة في الشعر وبين حوشية الحياة العادية وضعتها. وإني لأُومِن أنه بإضافة الوزن إلى تلك اللغة ينشأ فارقٌ يكفي لإقناع العقل المنطقي»[٤٩]

وسنحاول الان وان كان ذلك -بشيء من التلخيص-ان نقف عند الجانبين «الشعر والنثر» ونتعرف على موقف زكي نجيب محمود منهما.

١-الشعر:

رغم جمالية اللغة التي عرف بها زكي نجيب محمود وتميزها كلغة مسبوكة متقنة، الا انه لم يعنى بكتابة الشعر، فلا نجد له اعمالا شعرية او محاولات في هذا الجانب. لذا سنتناول ما حدده من معنى للشعر وللشاعر وكيف نظر الى ذلك.

يعرف زكي نجيب محمود الشعر بقوله: « الشعر من ضروب المعرفة بأسرها هو الأول والآخر؛ فإنه باق على الزمان ما بقي قلب الإنسان، فإن جاء اليوم الذي يُكتب فيه لبحوث العلماء أن تُشعِل في نفوسنا وفي آرائنا ثورةً خطيرة أيا كان لونها، مباشرةً كانت أو غير مباشرة، إذن لنهض الشاعر مما يغُطُّ فيه اليوم من سُباتٍ، ولأخذ الأُهبة ليقتفي أثر العالم، فلا يتأثر بنتائجه العامة غير المباشرة وحدها، بل يقف إلى جانبه يجول بإحساسه بين الأشياء التي يغوص فيها العلم نفسه. إن أعمق ما يكشفه علماء الكيمياء والنبات والمعادن لموضوعات جديرة بالشاعر وفنّه كأي موضوع آخر مما يستخدم فيه الشعر.»[٥٠]

فالشعر عنده شكل من اشكال المعرفة إذا استطاع ان يرتقي بلغته دون تصنع او تزويق لفظي لا يحمل معنى عميقا ولا يعد ان يكون سوى

لفظ فارغ ولغو اجوف.

اما الشاعر عند زكي نجيب محمود فهو: «إنسانُ يُخاطِب الناس، حقًا إنه لرجل أُوتي حسًا أرهف وحماسةً أَحَرَّ وشعورًا أرقّ ودرايةً أشمل بطبيعة البشر ونفسًا أوسع أفقًا مما يحتمل أن يكون لعامة الناس. إنه رجل تسره عواطفه ونوازعه، ويغتبط أكثر مما يغتبط سائر الناس لروح الحياة التي تدبُّ فيه، ويُمتعه أَن يُفكّر في العواطف والنوازع التي تُشبه ما له منها والتي تتجلى في جوانب الكون وكثيرًا ما يُضطر إلى خلقها إن لم يجدها»[٥١]

وليست تلك لوحدها أمور تميز الشاعر، بل ان هناك ما هو اكثر منها م المميزات، ويستكمل زكي نجيب محمود حديثه قائلا: « ثم يتميز الشاعر فضلا عن هذه الصفات بميل إلى التأثر أكثر ممن عداه بالأشياء الخافية كأنها بادية لناظريه، كما أن له مقدرةً في أن يُنشئ في نفسه عواطف هي في حقيقة الأمر أبعد شبهًا بالعواطف التي تنشأ بما يقع فعلًا من الحوادث، ولكنها مع ذلك أكثر شبهًا بالحوادث التي تُثيرها الحوادث الواقعة، مما تعود سائر الناس أن يُحسوا في أنفسهم بفعل عقولهم وحدها؛ لهذا ولما يكتسب من مران تراه أشد استعدادًا وأعظم مقدرةً على التعبير عما يُفكّر فيه وما يشعُر به، وبخاصة تلك الخواطر والمشاعر التي تنزو في نفسه بمحض اختياره أو بطبيعة تركيب عقله، دون أن يُثيرها مؤثر خارجي مباشر» [٥٢]

ولو عدنا بالحديث مرة أخرى الى النقد الادبي، مطبقين ذلك على نقد الشعر، فسنجد ان موقف زكي نجيب محمود هو نفسه، على اعتبار ان الشعر نوع من أنواع الادب،» فقبل أن يقف الناقد من الشعر المنقود وقفةً نفسية أو اجتماعية أو تأثرية، عليه أولا أن يتأكد أن الذي بين يديه «شعر» يستحق المعالجة بهذا الطريقة أو تلك؛ ومن هنا فإن على الناقد أن يفحص الشعر نفسه؛ أي إن ينصب النقد الأدبي على الأثر الأدبي ذاته أو منحصرًا في النص ذاته ... فالكلمات المرقومة على الصفحات هي موضوع النقد، وتحليلها وتشريحها وفحصها من جميع وجوهها هو مهمة الناقد بالأثر الأدبي ...فإنني لا أكون ناقدًا أدبيا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إذا ما اتخذتُ الأثر الأدبي نافذةً

أنظر من خلالها إلى شيء سواها»[٥٣]
ان نظرة دقيقة على كتاب زكي نجيب محمود (مع الشعراء) * سيبين بصورة واضحة الاهتمام الكبير الذي اولاه لطبيعة هذا الفن وقيمه الإنسانية والجمالية والأخلاقية حين قارن بين جديد الشعر وقديمه مبينا موقفه الناقد من المرحلتين ومستعينا بأمثلة شعرية كثيرة انتقاها بدقة وعناية. حيث عمد الى تناول العديد من الشخصيات التي امتازت بنتاجها الشعري المهم في خارطة الادب سواء ما كان منها غربي او عربي مما لا يسع المجال لذكره هنا.

٢-النثر:

يمثل النثر نتاجا زاخرا عند زكي نجيب محمود على العكس من شحة النتاج الشعري عنده، وإذا تناولنا في هذا الجانب فن «المقالة» على اعتبارها النموذج الادبي الاوفر حضا من غيره في كتاباته، سنجد ان الاسلوب المقالي كان السمة البارزة لمعظم مؤلفاته. ويتفق الكثيرون على ان تلك الكتابات المقالية كانت لونا خاصا بزكي نجيب محمود ونمطا يميزه دون غيره وخاصة فيما يتعلق بالمقالة الفلسفية او الفنية الأدبية.

فلا يكاد «يختلف اثنان ان زكي من كتاب المقال البارزين ويمثل لونا جديدا من ألوان كتابة المقال عامة والمقال الفلسفي بصورة خاصة في ادبنا المعاصر»[٥٤]

وقد ظهرت بعض تلك المقالات بشكل فردي في عدد من الصحف والمجلات، وظهر اغلبها مجموعا في كتب اذ» جمع زكي نجيب محمود مقالاته في كتب كثيرة لامجال لذكرها جميعا في هذه المساحة، لكن ما يمكن قوله هنا هو ان» خصائص المقالة الأدبية بارزة في كثير جدا من المقالات التي كتبها في كتبه المتقدمة: «جنة العبيط» و «الثورة على الأبواب»، و»شروق من الغرب» حيث تغلب النغمة الأدبية، ولك أن تقرأ فيها «ظلم» و «خيوط العنكبوت»، و»عروس المواد»، و»الكراهية الصامتة»، و « عند السفح» ... إلخ، وفي كتبه المتأخرة «رؤية إسلامية»، «عن الحرية أتحدث» و «تحديث الثقافة العربية» مقالات «أستاذ يحلم»، و»ذبابة تعقبتها»، و «نافخ النار» ... وغيرها كثير»[٥٥] وليست مقالاته سردا لغويا او صورا بيانية ولكنها فنون

أدبية تعبر عن اهم التصورات التي تسيطر على العقل الإنساني «[٥٦]

«إن زكي نجيب محمود يكاد يكون من أبرع كُتَّاب المقالة الأدبية في أدبنا المعاصر. ولقد كان له تصور خاص لهذا اللون من الأدب، تأثر فيه بأدباء المقال الإنجليز بصفة خاصة، لكن اهتمامه بهذا الطراز من الفنون الأدبية جاء مسايرًا لاهتمام أدباء عصره بالمقال»[٥٧]

في كتابه «جنة العبيط» وتحديدا في حديثه عن فن المقالة يصف هذا الفن ومن يمارسه من الادباء بقوله:» ان المقالة توشك ان تكون القالب الأوحد الذي يصب فيه الاديب خواطره ومشاعره»[٥٨]

وزكي نجيب محمود لا يرضى بالمقالة الوصفية، التي لا تؤسس على أسس متينة ولا تقوم على قواعد الادب الصحيحة، ولذا هو ينقد بعض كتاب المقالة في مصر، ويمتدح بالمقابل تلك الشروط التي وضعها النقاد الإنكليز لكتابة المقالة وهي « إن المقالة يجب أن تصدر عن قلق يُحسه الأديب مما يُحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع، على شرط أن يجيء السخط في نغمة هادئة خفيفة، هي أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ ، أو قل يجب أن يكون سخطًا مما يُعبر عنه الساخط بهزة في كتفيه ومطّ في شفتيه، مُصطبَغًا بفكاهة لطيفة، لا أن يكون سخطا مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث وتمزيق الثياب، هذا السخط على الحياة القائمة في هدوء وفكاهة، هذا السخط الذي لم يبلغ أن يكون ثورة عنيفة، هو موضوع المقالة الأدبية بمعناها الصحيح»[٥٩]وصفات المقالة هذه لا تتوافق مع النفس الثوري، او الوعظ الديني او الأخلاقي فتلك المقاصد لها ادواتها الأخرى للتعبير عنها كالقصيدة والقصة والمسرحية وغيرها ان كان موضوعا يقع ضمن هذا النطاق ،او حتى بحثا ان كان الموضوع يقع في نطاق العلم، ولن تسعف المقالة ذلك.

ومن اللازم ان نشير-ونحن نتحدث عن المقالة بوصفها فنا ادبيا وشكلا من اشكال النثر-الى ملاحظتين مهمتين في هذا النطاق:

١-الأولى: الأولى أن المقالات التي كتبها زكي نجيب محمود، وهي تبلغ المئات ليست كلها مقالات أدبية، تنطبق عليها الشروط السابقة، بل فيها المقالات التي تُعالج «أفكارًا»

أو «مفاهيم اجتماعية»، وتقوم بتحليلها تحليلا عقليًّا مُستخدما الفاعلية الفلسفية.

٢-الثانية: الثانية أن المقالة الأدبية يصعب تلخيصها؛ لأن المهم في القطعة الأدبية إنما هو الأثر الذي يخرج به القارئ؛ ولهذا لا بد أن يقرأها في مكانها وكما عرضها صاحبها. فلا مجال لفعل ذلك مع هذا النوع من الكتابة الأدبية الا بصعوبة.[٦٠]

وتبقى المقالة عند زكي نجيب محمود هي بذات التعريف الذي استعاره لها من الناقد الإنجليزي «جونسون» بأنها:» نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، هي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها، وليس الإنشاء المنظّم من المقالة الأدبية في شيء»[٦١]

الخاتمة:

يكاد يجمع اغلب المهتمين بدراسة الفكر العربي المعاصر على المكانة التي شغلها زكي نجيب محمود في هذا الفكر، سواء على مستوى نتاجه المعرفي العلمي منه او الادبي او على مستوى ممارسته للتدريس واشغاله لمناصب ثقافية مهمة.

واهم ما يمكن ان نصل اليه مع البحث في الجانب اللغوي والادبي عنده، هو ان هذا الجانب لم يكن اقل شأنا من اهتماماته العلمية والفلسفية وتحديدا اهتمامه بالوضعية المنطقية التي انعكست بلا شك على موقفه التحليلي من اللغة.

فقد كانت اللغة بالنسبة له «ثورة» كما اسماها اذ باللغة ومن خلالها تتحقق نهضة الأمم، ولذا كان ينادي دوما باللغة المنطقية التي تحتكم الى العقل ولا تكون مجرد كلمات جوفاء.

اما فيما يتعلق بالأدب فقد نسج زكي نجيب محمود بلغة بالغة الرصانة العديد من الاعمال الأدبية، سواء ما كان منها سير حياته او ما كان اعمالا نقدية او مقالية.

وقد امتازت مواقفه النقدية التي طرحت في تلك المقالات بالجراءة والوضوح، فكان بحق ناقدا واديبا امتلك نظرته الأدبية الخاصة والمستقلة في عالم الادب.

وكان الادب دائما ومكانة مهمة عنده اذ اعتبره من أقدر الفنون وأكثرها مهارة في التعبير، ولذا نراه مجد الكلمة والتركيب الجميل للعبارات

واعتنى عناية فائقة بصياغتها. موظفا الكلمة للتعبير عن الجانب الشعوري والوجداني الذي لم يخل قط من حمة العقل. وخير دليل على ذلك كثافة انتاجه الادبي الذي يشهد له الجميع بالقدرة والبراعة. غير أن هذا لا يعني أن يقوم الادب سواء ما كان منه شعرا او نثرا بتكرار ما هو موجود في الواقع لأنه عند ذلك سيفقد أصالته وجدواه لأننا في تلك الحالة سنكتفي بالواقع ولا نحتاج إلى أي ادب اوفن، والضروري أن يخلق الاديب عالما جديدا يخرجنا من رتابة عالمنا المعيش، يكون أكثر إنسانية وأكثر جمالا، وهكذا أراد زكي نجيب محمود في حديثه عن الادب واللغة ان يكونا اداتان للتغيير لا مجرد الوصف.

الهوامش

١.محمود، زكي نجيب(٢٠٢١) بذور وجذور، مؤسسة هنداوي، القاهرة،ط١،(١٠٥)

٢.محمود، زكي نجيب(١٩٩٢) تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط٩ (١٦٢)

٣.محمود، زكي، بذور وجذور(١٣٥)

٤.ينظر: المصدر نفسه،(١٠٣-١٠٤)

٥.ينظر: المصدر نفسه، (ص١٠٥)

٦.المصدر نفسه،(١٠٧)

٧.ينظر: العراقي، عاطف (٢٠١١)، زكي نجيب محمود، دار الوفاء لدنيا الطباعة، مصر(٦٦٢)

٨.ينظر: عبد الغني، مصطفى(٢٠١١) زكي نجيب محمود، دار العالم العربي، القاهرة، ط١(٦٢)

٩.ينظر: خليفي ، بشير(٢٠١٠) الفلسفة وقضايا اللغة ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ (٣٣)

١٠.مراد ، سعيد (١٩٩٧) زكي نجيب محمود اراء وأفكار،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة(٨٥)

١١.محمود، زكي نجيب(بدون سنة) حصاد السنين، مؤسسة هنداوي، مصر(٣٨)

١٢.ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

١٣.المصدر نفسه(٤٥)

١٤.مراد، سعيد،نفس المصدر (٩٠)

١٥.محمود، زكي نجيب (١٩٨٣) في فلسفة النقد، دار الشروق، القاهرة، ط٢ (١٥)

١٦.محمود، كي نجيب، بذور وجذور(١٠٤)

١٧.محمود، زكي نجيب، بذور وجذور (١٠٢)

١٨.مراد،سعيد،نفس المصدر(١٠٣)
١٩.ينظر: زيدان ، محمود(١٩٨٥) في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت (٥-١٠)
٢٠.محمود، زكي نجيب(١٩٩٣) تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط٩ (٢٠٥)
٢١.المصدر نفسه (٢١٩-٢٢٠)
٢٢.المصدر نفسه (٢١٥-٢١٦)
٢٣.محمود، زكي نجيب (١٩٦٥)المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،ج١ ، ط٤ (١)
٢٤.محمود، زكي نجيب ،(٢٠٢٢) نحو فلسفة علمية، مؤسسة هنداوي، مصر(٧٠)
٢٥.المصدر نفسه ،(٧١)
٢٦.ينظر: محمود ، زكي نجيب (١٩٨٨)، قشور ولباب ، دار الشروق ، القاهرة، ط٢(١٥٩-١٧١)
٢٧.المصدر نفسه (٨)
٢٨.ينظر: المحاريق، سامح حسين (٢٠١٣) الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية (٨٢)
٢٩.محمود،زكي نجيب (١٩٩٣) موقف من الميتافيزيقا ، دار الشروق، القاهرة، ط٤ (١)
٣٠.محمود، زكي نجيب (٢٠٢٠) ،المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، مؤسسة هنداوي، مصر(٢٤٢)
٣١.ينظر: امام، امام عبد الفتاح (٢٠٠١) ، رحلة في فكر زكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (٧٥)
٣٢.ينظر: محمود، زكي نجيب،(١٩٩٧) حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، ط١ .
٣٣.ينظر: محمود، زكي نجيب(١٩٩٧) ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق، القاهرة، ط٢ (١٩٩ -٢٠٤)
٣٤.محمود،زكي نجيب(٢٠٢٠) قشور ولباب، مؤسسة هنداوي، القاهرة(٦٣)
٣٥.محمود، زكي نجيب(٢٠١٨) الشرق الفنان، مؤسسة هنداوي،مصر(٩)
٣٦.المصدر نفسه(١١)
٣٧.المصدر نفسه والصفحة.
٣٨.ينظر: المصدر نفسه (١٣ -١٤)
٣٩.ينظر: محمود، زكي، في فلسفة النقد(٣٩)
٤٠.محمود، زكي نجيب (٢٠١٩) هموم المثقفين، مؤسسة هنداوي، القاهرة (١٤٤)
٤١.مشارة، إبراهيم (٢٠٢٣) زكي نجيب محمود ناقدا، بوابة الهدف الإخبارية، مقال منشور.
٤٢.محمود، زكي نجيب، تجديد الفكر العربي(٢٣٩)
٤٣.محمود، زكي نجيب(٢٠٢١) في فلسفة النقد، مؤسسة هنداوي، القاهرة (٢٣)
٤٤.نفس المصدر والصفحة.
٤٥.محمود، زكي نجيب، قشور ولباب(٥٥)
٤٦.المصدر نفسه (٥٦)
٤٧.ينظر:امام، امام عبد الفتاح، رحلة في فكر زكي نجيب محمود(١٦٥)
٤٨.محمود، زكي نجيب، قشور ولباب(٢٠)
٤٩.المصدر نفسه(٢١)
٥٠.المصدر نفسه(٢٥)
٥١.المصدر نفسه (٢٢)
٥٢.المصدر نفسه والصفحة.
٥٣.امام، امام عبد الفتاح، رحلة في فكر

زكي نجيب محمود(١٦٥)

٥٤.(*) ينظر محمود، زكي، نجيب (٢٠٢١)، مع الشعراء، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

٥٥.أبو ذكرى، السيد مرسي(١٩٨٢) المقال وتطوره في الادب المعاصر، دار المعارف، مصر(٢٢٧)

٥٦.امام، امام عبد الفتاح، رحلة في فكر زكي نجيب محمود(١٧٢)

٥٧.أبو ذكرى، السيد مرسي، المقال وتطوره في الادب المعاصر(٢٢٣)

٥٨.امام، امام عبد الفتاح، رحلة في فكر زكي نجيب محمود(١٦٥)

٥٩.محمود، زكي نجيب(٢٠١٨) جنة العبيط، مؤسسة هنداوي، القاهرة(٩)

٦٠.المصدر نفسه(١٠)

٦١.امام، امام عبد الفتاح، رحلة في فكر زكي نجيب محمود(١٦٨)

٦٢.محمود، زكي نجيب، جنة العبيط (١٠)

المصادر والمراجع

١-محمود، زكي نجيب (٢٠٢١) بذور وجذور، مؤسسة هنداوي، القاهرة،ط١ .

٢-محمود، زكي نجيب (١٩٩٢) تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط٩ .

٣-العراقي، عاطف (٢٠١١) زكي نجيب محمود، دار الوفاء لدنيا الطباعة، مصر .

٤-عبد الغني، مصطفى (٢٠١١) زكي نجيب محمود، دار العالم العربي، القاهرة، ط١.

٥-خليفي ، بشير(٢٠١٠) الفلسفة وقضايا اللغة ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١ .

٦-محمود، زكي نجيب (بدون سنة) حصاد السنين، مؤسسة هنداوي، مصر.

٧- محمود، زكي نجيب (١٩٨٣) في فلسفة النقد، دار الشروق، القاهرة، ط٣ .

٨- زيدان ، محمود (١٩٨٥) في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت .

٩-محمود، زكي نجيب (١٩٩٣) تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط٩ .

١٠- محمود، زكي نجيب (١٩٦٥) المنطق الوضعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،ج١ ، ط٤

١١-محمود، زكي نجيب (٢٠٢٢) نحو فلسفة علمية، مؤسسة هنداوي، مصر .

١٢- محمود ، زكي نجيب (١٩٨٨) قشور ولباب ، دار الشروق ، القاهرة، ط٢ .

١٣-المحاريق، سامح حسين (٢٠١٣) الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر، رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية.

١٤-محمود،زكي نجيب (١٩٩٣) موقف من

الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، ط٤ .
١٥-محمود، زكي نجيب (٢٠٢٠) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، مؤسسة هنداوي، مصر.
١٦-امام، امام عبد الفتاح (٢٠٠١) رحلة في فكر زكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
١٧-محمود، زكي نجيب(١٩٩٧) حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، ط١.
١٨- محمود، زكي نجيب (١٩٩٧) ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق، القاهرة، ط٢ .
١٩-محمود،زكي نجيب (٢٠٢٠) قشور ولباب، مؤسسة هنداوي، القاهرة .
٢٠- محمود، زكي نجيب (٢٠١٨) الشرق الفنان، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
٢١- محمود، زكي نجيب (٢٠١٩) هموم المثقفين، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
٢٢- مشارة، إبراهيم (٢٠٢٣) زكي نجيب محمود ناقدا، بوابة الهدف الإخبارية، الحوار المتمدن
٢٣-محمود، زكي نجيب (٢٠٢١)في فلسفة النقد، مؤسسة هنداوي، القاهرة .
٢٤-محمود، زكي، نجيب (٢٠٢١) مع الشعراء، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
٢٥- أبو ذكرى، السيد مرسي (١٩٨٢) المقال وتطوره في الادب المعاصر، دار المعارف، مصر.
٢٦- محمود، زكي نجيب (٢٠١٨) جنة العبيط ، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

Sources and References

1. Mahmoud, Zaki Najib (2021) Seeds and Roots, Hindawi Foundation, Cairo, 1st ed.
2. Mahmoud, Zaki Najib (1992) Renewing Arab Thought, Dar Al-Shorouk, Cairo, 9th ed.
3. Al-Iraqi, Atef (2011) Zaki Najib Mahmoud, Dar Al-Wafaa for the World of Printing, Egypt.
4. Abdel-Ghani, Mustafa (2011) Zaki Najib Mahmoud, Dar Al-Alam Al-Arabi, Cairo, 1st ed.
5. Khalifi, Bashir (2010) Philosophy and Language Issues, Arab House for Science Publishers, Beirut, 1st ed.
6. Mahmoud, Zaki Najib (no year) Harvest of the Years, Hindawi Foundation, Egypt.
7. Mahmoud, Zaki Najib (1983) In the Philosophy of Criticism, Dar Al-Shorouk, Cairo, 3rd ed.
8. Zidan, Mahmoud (1985) In the Philosophy of Language, Dar Al Nahda Al Arabiya, Beirut.
9. Mahmoud, Zaki Najib (1993) Renewal of Arab Thought, Dar Al Shorouk, Cairo, 9th ed.
10. Mahmoud, Zaki Najib (1965) Positivist Logic, Anglo-Egyptian Library, Cairo, Vol. 1, 4th ed.
11. Mahmoud, Zaki Najib (2022) Towards a Scientific Philosophy, Hindawi Foundation, Egypt.
12. Mahmoud, Zaki Najib (1988)

Shells and Core, Dar Al Shorouk, Cairo, 2nd ed.

13. Al-Mahariq, Sameh Hussein (2013) Logical Positivism in Contemporary Arab Thought, Master's Thesis, University of Jordan.

14. Mahmoud, Zaki Najib (1993) A Position on Metaphysics, Dar Al Shorouk, Cairo, 4th ed.

15. Mahmoud, Zaki Naguib (2020) The Reasonable and the Unreasonable in Our Intellectual Heritage, Hindawi Foundation, Egypt.

16. Imam, Imam Abdel Fattah (2001) A Journey in the Thought of Zaki Naguib Mahmoud, Hindawi Foundation, Cairo.

17. Mahmoud, Zaki Naguib (1997) Harvest of the Years, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1st ed.

18. Mahmoud, Zaki Naguib (1997) Our Culture in the Face of the Age, Dar Al-Shorouk, Cairo, 2nd ed.

19. Mahmoud, Zaki Naguib (2020) Shells and Core, Hindawi Foundation, Cairo.

20. Mahmoud, Zaki Naguib (2018) The Artist East, Hindawi Foundation, Cairo.

21. Mahmoud, Zaki Naguib (2019) Concerns of Intellectuals, Hindawi Foundation, Cairo.

22. Mushara, Ibrahim (2023) Zaki Najib Mahmoud as a critic, Al-Hadaf News Portal, Al-Hewar Al-Mutamadin

23. Mahmoud, Zaki Najib (2021) In the Philosophy of Criticism, Hindawi Foundation, Cairo.

24. Mahmoud, Zaki, Najib (2021) With the Poets, Hindawi Foundation, Cairo.

25. Abu Dhikri, Al-Sayed Morsi (1982) The Article and Its Development in Contemporary Literature, Dar Al-Maaref, Egypt.

26. Mahmoud, Zaki Najib (2018) Paradise of the Idiot, Hindawi Foundation, Cairo

حولية المنتدى